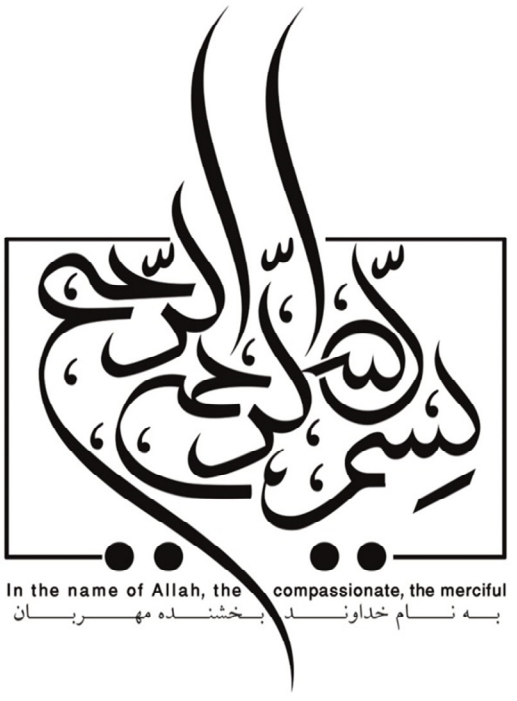

In the name of Allah, the compassionate, the merciful

به نام خداوند بخشنده مهربان

الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله
ثورة الكلمة المقدسة

علي أبو الخير

كلمة الناشر

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد فقد شهدت دائرة العلوم الإسلاميّة نشاطًا وحيويّةً وعمقًا وشمولاً ـ على اختلاف موضوعاتها وأغراضها عبر تاريخها الطويل ـ في ظلّ المتغيّرات الحاصلة في مجمل دوائر الفكر والمجتمع، وانتشار شبهات العولمة والفكر الإلحاديّ، وحتى التكفيريّ المتطرّف، خصوصًا بعد ثورة الاتصالات الحديثة التي هيّأت للعالم فرصًا فريدةً للاطّلاع الواسع، ودفعت بعجلة الفكر والثقافة والتعليم إلى آفاق واسعة؛ ولذلك، فإنّ على كلّ المخلصين من أبناء هذه الأُمّة ممن يعملون في هذا الميدان الحيويّ الهام، ميدان المعرفة، أن يجنّدوا قواهم ويشحذوا عزائمهم ويبذلوا قصارى جهدهم ـ خصوصًا العلماء والأساتذة ـ في تدوين كتب دراسيّة على الأُسس المنهجيّة الحديثة للعلوم الإسلاميّة خاصّة، ولسائر العلوم الإنسانيّة: كعلوم القرآن، والحديث والفقه، والتفسير، والأُصول، وعلم الكلام والفلسفة، والسيرة والتأريخ، والأخلاق، والآداب، والاجتماع، والنفس، وغيرها، والذي نحرص أن تحمل هذه المناهج طابعًا أكاديميًا مع حفاظها على الجانب العلمي الأصيل المتّبع في الحوزات العلميّة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الرسالية.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف أخذ دار النشر (نور الأمين) على عاتقه، القيام بهذه المسؤولية الضخمة، في إسهام عملية التطوير والبلورة الفكرية والثقافية.

وفي الختام نأمل أن تأخذ هذه الآثار مكانها في المكتبة الإسلاميّة، وتلقى جميل الأثر، وحسن الردّ من رجال العلم والفضيلة؛ بأن يرسلوا إليها بما يستدركون عليها من نقص، أو خطأٍ، يفوّت جهد المحقّق الحصيف، والمؤلّف الحريص.

نورالأمين

الفهرس

خطبة الكتاب ـــــ ٧

ثورة الايمان لتحرير الخطاب الدينيّ ـــــ ١٧

حتمية الحوار ـــــ ٢٤

الرسول المصطفى ﷺ ـــــ ٣٣

ثورة الاصطفاء ـــــ ٣٣

الاصطفاء والحسد ـــــ ٤١

النبيّ ﷺ المصطفى.. ثورة في فكر الإنسان المصطفى ـــــ ٤٣

بعض نبوءات العهد القديم ـــــ ٤٧

بعض نبوءات الإنجيل: ـــــ ٤٩

المسيح عليه السلام يتنبأ بمقدم الرسول الكريم ـــــ ٤٩

الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية ـــــ ٥١

كتابات من الغرب ـــــ ٥٢

الرسول المصطفى ﷺ وآله وحاسدوهم ـــــ ٥٧

ادعاؤهم أنهم أحباء الله ـــــ ٦٤

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى ـــــ ٦٤

الحسد لأهل البيت عليهم السلام ـــــ ٦٥

ثورة السياسة الرسالية ـــــــ ٧١
من هنا نقول ـــــــ ٧٦
الاطار العام للنظام السياسي الإسلاميّ ـــــــ ٧٧
١. الشورى: التعددية: ـــــــ ٧٨
٢. الردة وحرية الاعتقاد ـــــــ ٩٠
الردة السياسة في تاريخ المسلمين ـــــــ ١٠٩
الشورى عند الإمام علي عليه السلام ـــــــ ١١٥
ثورة المستضعفين ـــــــ ١١٩
تجفيف منابع الرق ـــــــ ١٢٨
الرق بعد فترة النبوة والوحى ـــــــ ١٣٢
ظهور الشعوبية ـــــــ ١٣٨
ثورة الإسلام ـــــــ ١٤١
ثورة النساء ـــــــ ١٤٣
منهج القرآن لتحرير المرأة ـــــــ ١٤٥
المرأة كإنسان: ـــــــ ١٤٧
المرأة كأنثى ـــــــ ١٥٣
قضايا المرأة في القرآن الكريم ـــــــ ١٥٩
ثورة انتظار المستقبل ـــــــ ١٦٣
الإسلام والكتب السابقة والمستقبل ـــــــ ١٦٧
انتظار المستقبل ـــــــ ١٧٣
المستقبل والانتظار والوعد ـــــــ ١٧٤
المهدي والمستقبل ـــــــ ١٧٧
الخاتمة ـــــــ ١٨٩
مراجع ـــــــ ١٩٣

خطبة الكتاب

لم أتخيل نفسي يومًا أكتب عن رسول الله ﷺ كتابًا؛ لأنّ رسول الله ﷺ يختلط حبه عندي في الدم واللحم، العقل والقلب، الروح والوجدان، واعتبرت الكتابة عنه فوق طاقتي لما له من قدسية النبوة، وبشرية الرسالة ولا أعرف بالتحديد متى عرفت أو سمعت عن النبيّ الأعظم ﷺ ربما عندما وعيت على والديّ يؤديان الصلاة أو يصومان شهر رمضان المبارك، أو من خلال المدائح النبوية التي كان بعض الشيوخ يؤدونها قبيل أذان الفجر، ولكن المؤكد أن معرفتي برسول الله تبدأ بمعرفتي بالحياة وأنفاسها التي تتردد في الصدور.

إن أكثر ما ألهب الوجدان والمشاعر في ذلك الوقت المبكر هي أشعار أمير الشعراء أحمد شوقي في مدح النبيّ الأعظم:

أبا الزهراء قد جاوزت قدرى ... بمدحك بيد أن لى انتسابًا

مدحت المالكين فزدت قدرا ... وحين مدحتك اقتدت السحابا

أو عندما يقول في همزيته النبوية الشهيرة:

يوم يتيه على الزمان صباحه ومساؤه بمحمد وضاء

ما جئت بابك مادحًا بل داعيًا ومن المديح تضرع ودعاء

كان أمير الشعراء يترجم مشاعر المسلمين البسطاء في حبهم لرسول الله ﷺ، فهو يقول إنّ مدحه لرسول الله ﷺ يجعله يقود السحاب خاصة وأن اليوم الذي ولد فيه ﷺ يفخر على سائر الأيام.

ولم نكن نعلم في طفولتنا في قرى مصر المنتشرة في وادى النيل (الدلتا والصعيد) أنّ هناك من يحرمون مدح النبيّ كما يحرمون تعظيمه، يعظمون ملوكًا ولكنهم يرفضون تعظيمه، ولكن ذلك بالنسبة لنا – في الطفولة الساذجة ـ علم لا نعرفه، فقد تربينا على أهل الطرق الصوفية الذين يلبسون ملابس الدراويش يتغنون بسيد البشر وإمام الأنبياء، أو عندما يلتفون في حلقات الذكر منشدين بردة البوصيرى وأشعار عمر بن الفارض، مترنمين بسيرته العطرة في أنغام بسيطة عفوية ولكنهم مؤثرة، تمس القلب والعقل، وتلهب الخيال وتلطف المشاعر.

لم يكن ذلك فقط، ولكن الاذاعة أيضًا ـ خاصة في شهر رمضان ـ كانت تخصص أوقاتًا للتواشيح الدينيّة، وجميعها وجميع المنشدين يصوغون هذه التواشيح بأرق الأصوات وأعذب الكلمات لتستقر كقطرات الندى في الزهور العطشى لبعض الطل يروى غليلها، وكأنها الأجساد العطشى للحياة، والقلوب الظامئة لنور الحق.

وفوجئنا في أواخر الصبا وأول الشباب من يحرم التواشيح ويحرم المدائح النبوية؛ وكأنهم يريدون صياغة حياتنا بأفكار البادية وفقه الحرام، ظننا في أول الأمر أنها هوجة أفكار ستختفى من أرض مصر المعطاء كما اختفت غيرها من الأفكار التي وفدت ثم وئدت بعد أنكرها الناس بقلوبهم ثم برفضهم، ولكن الأمر كان أخطر من أي فكر وافد كالفكر اليساري أو الرأسمالي؛ لأنّ فكر البادية كان له أناسه وأمواله، ثم هو يقول إنّه يمثل

الإسلام الصافي وأعتقد البسطاء صدق هذا القول، ولكنّهم أدركوا بعد حين زيف هذه الكلمات، ولكن هذا الحين امتد لينتشر معه فكر التحريم، عقود ثلاثة كانت كافية لشرذمة المسلمين، ليس في مصر وحدها، ولكن في كل ديار الإسلام، صار للتكفير أهل ودولة، وصار للخوارج المحدثين سطوة؛ دفع المستضعفون فاتورة هذا التطرف التكفيري من جراء المواجهات الدامية بين أثرة الحكومات وبطش قوى التكفير.

في ذلك الحين ابتعد الناس عن ثورية الرسالة بقدر ما اقتربوا من فتن الأفكار الجديدة، وأخذ بعض المفكرين يكتبون عن تلك الثورية التي جاءت في الأصل من أجل المحرومين من الغذاء والأفكار، جاءت لتقيم العدل بعد التوحيد، ولتنشر الضياء الربانيّ لكي يبدد ظلمات ظلم الإنسان لأخيه أينما كان هذا الإنسان، وأيا ما أعتقد من أديان ومذاهب، فالعدل هو العدل، والفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها ترفض الغبن وتنحاز للمظلوم.

والحديث عن ثورية الإسلام يتطلب الحديث عن ثورية صاحب الرسالة، فهو بشر ولكنه معصوم، ودومًا يقرن الله سبحانه وتعالى بشرية الرسول برسالته «محمد رسول الله..»، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرًا رسولًا، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾، فالرسول الأعظم متميز بالوحي والرسالة، فهو ليس بشرًا عاديًا كما زعم الزاعمون، صحيح أنه بشر يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، ولكن الكمال البشري تجلى في الارتباط بين الدعوة والداعي والوحي الإلهيّ، والله ـ جل شأنه ـ عندما ميز الأنبياء اصطفاهم على البشر، واصطفى من الأنبياء بعضهم، ثم حصر النبوة في النسل الإبراهيم؛ حيث إنّ كل الأنبياء من غير نسل إبراهيم عليه السلام ماتوا وأهلك الله أقوامهم، ولم يبق من دعوتهم الا كلمة التوحيد مثل هود وصالح

وشعيب عليهما السلام، ثم كانت الدعوة التوحيدية تحتاج إلى شعب كامل يدين بها، تمثل هذا الشعب في قبائل إسرائيل، ولكن هذه القبائل حولت الدعوة إلى قومية، وتحولت القومية إلى عنصرية بادعاء احتكار التوحيد الإلهيّ، وعندما احتكروا التوحيد ضاع العدل بينهم وبين باقي شعوب الأرض، فكان على الضمير البشري أن يستوعب رسالة تعمل على رفض الاحتكار التوحيدي، فكانت دعوة عيسى عليه السلام دعوة للمحبة الخالصة والعفو حتى عن الأعداء الذين يسيئون لنا.

ولكن السياسة حولت دين المحبة إلى دين الصدام المروع، وجعلت من كلمات المسيح عليه السلام مطية لاستغلال الشعوب؛ وما جاء به حواريّ المسيح للتكريز بالبشاره والاستعداد لملكوت الرب لم يأت مطلقًا بعد أن خطفت سياسة الاستعلاء دين ابن مريم وسخرته لخدمتها، لدرجة أنه كلما ازدادت تقوى الباباوات، ازدادت العصبية وازدادت شراهة القتل والتدمير وجميعه باسم الرب.

فكان على الأرض أن تستقبل بشارة المسيح برحابة الصدر، واتساع الأفق، لكي تستمع لنداء آخر الأنبياء وسيدهم وقدوتهم وهو يتلو آيات الله على المؤمنين والمشركين والكافرين والشاكين والمنافقين، ليؤمن من يؤمن ويكفر من يكفر، وليزلزل المجتمع الذي لم يعد يتذكر من حنيفيه إبراهيم عليه السلام إلا أضواء خافتة لا تشرق في السرائر ولا تسكب في جوانح الحياة أي ندى للخير ولا أي فجر للأمل، فقد كان المجتمع الجاهلي الذي بعث النبيّ الأعظم فيه يعتقد أنه يعيش على ثوابت حتى لو كانت وثنية، وعندما وصلته الدعوة الثورية التي جاء بها محمد ﷺ قالوا كما جاء بالقرآن العظيم «أجعل الآلهة إلهًا واحدًا، إنّ هذا لشيء عجاب، ما سمعنا بهذا في الملة

الآخرة، إنّ هذا الا اختلاق»، لقد كان هذا العجب من القبيلة القرشية له ما يبرره بالنسبة لهم، فقد اعتقدوا أنّ دينهم أفضل الأديان، وأنّ أصنامهم تقربهم إلى الله زلفى، وكما تقربهم هذه الأصنام إلى الله تقربهم إلى السيادة الاقتصادية؛ حيث جعلوا الكعبة وسيلة إلى الرخاء الاقتصادي طالما أنّ القبائل العربية تذهب إليهم وتدفع لهم وتشترى منهم أو تبيع لهم، ودعوة محمد ﷺ كانت تعني هدم كل هذه المسلمات الوثنية فرفضها القوم رفضًا داميًا وحولوا حياة المسلمين الأوائل إلى جحيم لا تخمد نارها؛ لأنّهم كانوا يعلمون أنّ أسس القواعد والمسلمات التي عاشوا عليها ستنهدم على رؤوسهم إذا ذاعت وانتشرت الكلمة وانتشر معها عدل الله الذي نادى به الأنبياء جميعًا، فالرسول الأعظم ﷺ كان نبيًّا مختارًا، وثورته تنبع من نبوته، من كلماته عن الآخرة التي أنكرها القوم بما فيها من ثواب وعقاب.

فدعوة محمد ﷺ هي دعوة ثورية.

وحتى لا يذهب القارئ بعيدًا عندما يسمع كلمة الثورة والثائر، نؤكد على أنّ الثورة التي جاء بها الرسول ﷺ ثورة لا تقلب أوضاع المجتمع وتجبر الناس على الدخول في الملكوت قسرًا، فهي ثورة العدل لكي يتيسر التوحيد، وثورة من أجل المساواة بين البشر لكي يختفي الظلم، وثورة من أجل الكلمة التي هي سلاح الأنبياء جميعًا.

الثورة القرآنيّة ليست كأي ثورة سابقة أو لاحقة، فمعظم الثورات في التاريخ انحصرت أفكارها في قلب أنظمة الحكم ونشر فكرها على اعتقاد أنّها الوحيدة التي تمتلك الحق المطلق.

الثورة القرآنيّة حددت معالمها في حوارات مستمرة مع المختلفين في العقائد والمذاهب والأفكار والرؤى، حوارات القرآن الكريم أكدت وجود مثلها

حتى بيّن الله سبحانه وتعالى وبين الشيطان، الله العظيم المتعال حاور إبليس المتمرد فقال له إبليس: «فبعزتك لأغوينهم أجمعين..» ويرد الحق سبحانه عليه: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين»، إلى هذه الدرجة يكون الحوار، وبهذه الدرجة من الحرية كانت ثورية القرآن وثورية الداعي لها هو شخص رسول الله ﷺ.

كما أنّ هناك اختلافًا جوهريًّا بين الثورات الإصلاحية والثورات الرسالية، هو أنّ الثورات الإصلاحية تنبع في البداية من الاحتقانات السياسية أو الاقتصاديّة الطبقية فتثور الجماهير وتندفع بعد أن تجد قادة لها لتحطم ما يعترض طريقها فتأخذ البريء بالمذنب وتنشر الارهاب وتقيم المشانق والمحارق والمقاصل، ومن ثم تحتاج الثورة إلى ثورة، الثورة تبدأ ثم تبحث عن قائد أو قواد لها؛ فالثورات الاجتماعية تبدأ من أسفل بسبب الصراعات الأرضية.

ولكن الثورة الرسالة تأتي من أعلى من عند الله سبحانه، تبدأ هادئة واعدة من نبيّ يرسله الله، فيأخذ الناس بالهوادة والرفق والمحبة والإخلاص، وهذا ما حدث مع رسول الله، بدأ بدعوة أقرب الناس إليه بمجرد أن تلقى كلمات الوحي، فصار بيت رسول الله مؤمنًّا بعد أن عاد من غار حراء، آمنت خديجة رضوان الله عليها، وآمن علي عليه السلام وآمن زيد وميسرة وأم أيمن، فالجماعة الإسلامية بدأت من بيت صاحبها وتماشت مع فطرة الإنسان فبعد البيت أنذر العشيرة الأقربين، ثم إلى المجتمع بأسره؛ ثم إلى العالم أجمع، علمًا بأنّ مجتمع قريش لم يكن فيه أي بادرة تؤكد أنّه يعيش احتقان دينيّ أو اقتصادي أو طبقي؛ فالسادة المترفون يعيشون حياتهم، والعبيد أبعد الناس عن التفكير في تحريك هذا المجتمع، فقد تعودوا عليه وصار من ضمن مسلماتهم المقدسة، وهنا تختلف ثورية دين الإسلام عن أي ثورية إصلاحية أخرى سبقتها أو جاءت بعدها، فحركت

الكلمات المجتمع وبدأ المستضعفون تهفو نفوسهم إلى هذه الكلمات، ويكادون يقول لأنفسهم: هل صحيح أنّنا وسادتنا في الدنيا وأمام الله في الآخرة سواء؟ هل من المعقول أن نعيش أحرارًا كما خلقنا الله الذي أرسل محمدًا ﷺ؟ وكلها تساؤلات أحيت المجتمع وحركت قياداته ودهماءه على السواء.

الثورة القرآنية إذًا تأتي من أعلى بعكس كل الثورات الأرضية، وفي الوقت نفسه فأنّ تلك الثورة الرسالية تطبق على الأرض، على البشر لا في السماء ولكنها توصل الأرض بالسماء في صلة دائمة روحية خالدة تمزج السياسة بالروح، وتربط أوليات الدعوة بضرورات الثورة؛ والفقه الذي جاء به القرآن هو فقه ثائر يأبى أن ينظر للحاكم الظالم، ويرفض أن يتخذه أي ملك مطية لأهوائه، فقه ثوري يناطح الحاكم ويرفق بالمحكوم حتى لو كان مذنبًا، فقه يرتوي من أصل الدعوة ليروى المحرومين.

وهذا جميعه ما دفعنا للكتابة عن سيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ مرجعيتنا في الدنيا وشفيعنا في الاخرة ﷺ.

ودفعنا للكتابة عنه ﷺ تلك الدعوات المنادية بتجديد الخطاب الدينيّ الإسلامي، وكلها دعوات تدور حول نفسها؛ لأنّها لا تأخذ من الأصل القرآني مباشرة ومن صاحب الرسالة.

كما دفعنا للكتابة عنه ﷺ حركة الاستكبار العالمي الذي يقوم بالهجوم على ديار المسلمين مستغلًا تفرقهم ومحاربة بعضهم بعضًا محاولًا تعميق بعض الخلافات بين أبناء المذاهب المختلفة.

كما دفعنا للكتابة عنه هجوم قوى التكفير التي تتستر برداء الإسلام وتعتقد أنّها الفرقة الوحيدة الناجية وتقوم بقتل المسلمين المخالفين لهم في الرأي ويعتقدون أنّهم يتقربون إلى الله بدماء المسلمين.

كما حثنا كذلك حنين الطفولة والصبا في العمر والفكر إلى الأشواق الداعية لحب رسول الله قلبيًّا وعقليًّا، بالوعى والضمير، والعقل والحكمة بعيدًا عن أوهام النواصب والخوارج الذين يؤذون رسول الله ﷺ في آل بيته الكرام.

وأوّلًا وآخرًا تلك الفكرة الحميدة التي قامت بها الجمهورية الإسلاميّة في إيران التي خصصت هذا العام ليكون عامًّا للرسول الأعظم ﷺ.

لهذا ولغيره تخيلت نفسي اكتب عن رسول الله ﷺ وأن اجعل المستحيل قريب المنال، وها هي نفسي تجعلني اكتب، وها هي يدي تستطيع أن تخط بالقلم وأن تعبر بالكلمة، متخذين المنهج القرآنيّ نبراسًا لنا؛ لأنّ كلمتي اقرأ والقلم هما أول ما نزل من القرآن المجيد.

ثمّ تبقى كلمة في النفس هي أنّ كتابنا عن النبيّ الكريم ﷺ ستقتصر على بعض ملامح ثورية دعوته، وهي ثورية لم تترك جانبًا من جوانب الحياة الا خاضت فيه، ثورة في الاصطفاء، وثورة في السياسة وثورة للمستضعفين وثورة المرأة وثورة المستقبل وغيرها، وخلاصتها ثورة الكلمة المقدسة؛ هي الثوريّة التي ابتعد عنها المسلمين معظم تاريخهم؛ لذلك سنعمل على إبراز الجوانب الثورية، وما حدث للمسلمين بعد ابتعادهم عن المنهج النبويّ الثور]، الثوري كما شرحناه آنفًا، وليس الثوري بالمفهوم العامي، وقبل ذلك الحديث عن كيفية تحرير الخطاب الدينيّ على أساس تلك الثورية القائمة على الإيمان.

إنّ اقتصار كتابتنا على ثوريات الاصطفاء والسياسة والمستضعفين والكلمة والمستقبل تعنى أنّنا سنحتاج لكتابات أخرى تلقى الأضواء على كل سيرة المصطفى، ومهما كتب المؤلفون وشرح المفسرون لن يستطيعوا استيفاء حقه؛ لأنّ حقه الشريف يتعلق بالقرآن الكريم الذي لا تنقضى عجائبه، وبالتالي فالسيرة متجددة طالما ظل القرآن وطالما ظل هناك مستقبل، فالإسلام

يكاد يكون الدين الوحيد الذي أعطى للمستقبل عمقًا غاب كثيرًا عن المسلمين، وفلسفة الانتظار جزء من هذا المستقبل؛ لذلك فإنّ فصول هذا الكتاب ستتركز على الأيمان لتحرير الخطاب الدينيّ والاصطفاء والسياسة والمستضعفين والمرأة والمستقبل، وكلها تتعلق بالإنسان، فالإنسان هو محور الدين بصفة عامة وأكيدة وجميع هذه المفاهيم من وحي ثورة الكلمة المقدسة.

ويظل الكتاب رؤية شخصية تحاول أن تقترب من قدس النبوة والوحي، ولكنه اقتراب يحاول الامتزاج من هذا النور الخالد المستقبلي، كما قال الشاعر عمر الخيام:

ان تفصل القطرة من بحرها ... ففي مداه منتهى أمرها

تقاربت يا رب ما بيننا ... مسافة البعد على قدرها

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

على أبو الخير

القاهرة ـ حدائق حلوان